سباق الحصاد

للكاتب الانجليزي ليام أوفلاهرتي
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

لم يطلع الفجر إلا وقد تجمع الحاصدون فى حقل الشعير ، ذلك الحقل الكبير القائم الزوايا الذى يملكه جيمس ماكدارا المهندس المتقاعد . ويبتدئ الحقل من منحدر أحد التلال ثم يهبط فى ميل خفيف حتى ينتهى إلى طريق الشاطئ المغطى بالرمال يحيط به سور غير مرتفع من الحجر تدلت عليه رؤوس عيدان الشعير الصفراء متكاثفة تغطيه فلا يكاد يظهر لأحجاره من أثر ، يخبط بعضها بعضاً فتحدث حفيفاً خفيفاً كلما هبت عليها نسمات الصباح .

وكان ماكدارا نفسه — وهو شيخ أبيض الشعر — واقفاً خارج السور فى سراويله الرمادية يلوح بعصاه متحدثاً إلى نفر قليل من الناس اجتمعوا حوله فى هذه الساعة المبكرة من النهار مدفوعين بحب الاستطلاع ، وكانت أمارات الاهتمام بادية على وجهه المشرب بالحمرة وهو يحدثهم فى صوت مرتفع يقول :

« لقد مسحته يوم أمس على أدق الوسائل ؛ وأقسم بشرفى أن ليس هناك من فارق ولو بوصة واحدة بين مساحات الأقسام الثلاثة . وانظروا لقد رسمت خطوطاً على طول الحقل حتى لا يضل أحدهم طريقه فلتتقدموا لترو بأعينكم »

وقاد الرجال من طرف الحقل إلى الطرف الآخر فأراهم كيف قسمه إلى ثلاثة أقسام متساوية ، وكيف وضع خطوطاً تبين معالم كل قسم من هذه الأقسام وصاح الرجل فى نشوة أشبه بنشوة تلميذ المدرسة :

« لا يمكن أن يكون هناك ما هو أعدل من هذا ، وعندما أطلق النار من مسدسى سيبدأ الجميع العمل فى لحظة واحدة ، والزوج الذى يسبق فى حصد شقته يحصل منى على ورقة من ذات الخمسة الجنيهات

وهز الفلاحون رؤوسهم ونظروا إلى الشيخ ماكدارا نظرة الجد على الرغم من أن كل واحد منهم كان يعتقد فى نفسه سفه ذلك الشيخ الذى ينفق خمسة جنيهات على حصد حقل يمكن حصده بجنيهين لا أكثر ؛ على أنهم لم يكونوا مع ذلك أقل من ماكدارا نفسه اهتماما ولهفة ، فإن الثلاثة المتفوقين بين الحاصدين فى جزيرة انفيرارا كلها قد تقدموا إلى هذه المسابقة ، وكانوا فى هذه اللحظة واقفين عند رأس الحقل كل فى شقته مستعدين للعمل ، وكان كل منهم مستصحباً زوجه لتحزم ما يقطع من الشعير وتربطه ولتقدم له الطعام أيضاً

أما اختيار الشقة التى يعمل فيها كل منهم فكان عن طريق الاقتراع إذ سحب ثلاثتهم ورقة ملفوفة من قبعة ماكدارا ، حتى إذا عرف كل شقته وقف على رأسها منتظراً إشارة البدء فى العمل ؛ وعلى أن الشمس لم تكن بعد قد بعثت بحرارتها إلى

الأرض ونسيم البحر كان لايزال نديا رطباً ، فان الرجال الثلاثة قد خلعوا أرديتهم إلا الأقمصة المفتوحة الصدر ، وقد طووا أكمامهم ورفعوها إلى سافوق المرافق ، وكانت الأقمصة مصنوعة من الصوف الرمادى ، وقد تمنطقوا بأحزمة من الصوف منسوجة باليد ؛ أما سراويلهم فكانت من قماش أبيض تدخل نهاياتها تحت جوارب طويلة من الصوف تحلاة رؤوسها بمختلف الألوان ، وقد انتعلوا نعالاً خفيفة من شأنها أن تقى أقدامهم وتسهل عملهم ؛ وكان ثلاثتهم عارى الرؤوس ، أما نساؤهم فقد ارتدين سترات حمراء وربطن حول رؤوسهن شيلاناً صغيرة

وكانت الشقة اليسرى من نصيب ميخائيل جيل وزوجته سوزان . وكان ميخائيل رجلا طويل القامة صلب العود قوى البنية ، أشقر شعر الرأس ، أفنى الأنف ، يحرك فى استمرار فكه الأسفل إلى الأمام وإلى الوراء ؛ وكانت عيناه الزرقاوان الصغيرتان محدقتين باستمرار إلى الأرض ، حتى لانكاد أهدابه البيضاء الطويلة تلمس عظمتى وجنتيه كما لو كان نائماً ، وقد وقف جامداً يحمل في يده اليمنى منجل الحصاد ممسكا حزامه باليسرى ، وكان يرفع أهدابه ما بين فترة وأخرى مصغياً يتوقع انطلاق المسدس ؛ وكانت امرأته تكاد تدانيه طولاً ولكنها كانت بدينة محمرة الوجه ، وكانت امرأة صموتاً وقفت فى هذه اللحظة تفكر فى طفلها الذى لم يتجاوز الشهر الثامن من عمره وقد تركته فى البيت فى عناية أمها

وكانت الشقة الوسطى من نصيب جونى بودكن ، وقد وقف متكتفاً مفرشخاً يتحدث إلى امرأته فى لهجة جدية خافتة ، وكان رجلاً كبير الهامة غليظ الأطراف والعنق ، أسود الشعر ضرب الصلع في مقدم رأسه ، وكانت جبهته شديدة البياض وخداه شديدى الاحمرار ؛ وكان كثير التقطيب يحرك حاجبيه السوداوين ، وكانت امرأته مارى قصيرة القامة نحيفة ، شاحبة الوجنتين ، تبرز أسنانها العليا إلى الخارج قليلا على شفتيها السفلى

ووقف على رأس الشقة اليمنى «بات كونسيدين» وامرأته « كايت » ، وكانت « كايت » كبيرة الهامة مفتولة العضل ، مرقشة الوجه ، نبت على شفتيها العليا شاربان يسترعيان النظر ؛ شعرها غزير يضرب لونه إلى الصفرة القاتمة وقد تركته مرسلا غير ممشط ، وكانت تتحدث إلى زوجها فى صوت عال فيه خشونة صوت الرجال ، تميزه نغمة تنبىء عن طيب الخلق والوداعة . وكان زوجها على العكس منها رجلاً قصير القامة ، ضئيل الجسم ، بدأت التجاعيد ترتسم على وجهه ولما يبلغ الأربعين بعد . وكان وجهه فى وقت ما مشرباً بالحمرة الداكنة ، أما الآن فقد بدأ يعلوه الشحوب ، وقد فقد أغلب ثناياه ، وكان فى هذه اللحظة واقفاً فى غير اكتراث يبتسم ناكدارا ، وكانت ضآلة جسمه ونحوله يخفيان ما ركب فى ذلك الجسم من قوة ، ثم هز ماكدارا عصاه ، ورفع ساعده وأطلق النار من مسدسه فبدأ سباق الحصاد ؛ وبحركة واحدة ركع الرجال الثلاثة على ركبهم اليمنى كما يركع الجنود ساعة المران على إطلاق النار . وفى نفس هذه الحركة أطبقت كفوفهم اليسرى على حزم من عيدان الشعير وارتفعت مناجل الحصد في الهواء ، ثم سمعت أصوات قطع تشبه الأصوات التى يحدثها أكل البقر الجائعة

الحشيش المبكر فى الربيع . ثم إذا بثلاث حزم صغيرة ملفوفة من الشعير تلقى على الأرض المنداة بجوار السور، وراء كل ساق مثنية من سوق الحاصدين الثلاثة حزمة منها ؛ وكانت النسوة الثلاث ينتظرن فى لهفة عصبية الحصدة الأولى ، فهذه الحصدة قد تكون بشيراً بالنصر أو نذيراً بالهزيمة ؛ وتكونت حزمة واثنتان وثلاث وأربع ... وكان جوتى بودكن يغط كالجواد الثائر ملقيا بالحزم التى يقطعها فى غير توقف . ولم يلبث أن رفع منجله عالياً فتفل عليه صائحاً فى صوت عال صيحة الانتصار يقول : « الحصدة الأولى ! » فأطبقت امرأته بكلتا يديها ، وبدأت عملية الحزم فى سرعة ومهارة تدعوان إلى الدهشة والإعجاب، وكأنما كانت أصابعها الطويلة فى أثناء هذه العملية تلعب بإبر التطريز . ولم يتوقف الحاصدان الآخران وزوجاهما لينظروا ما حدث ، فقد انتهى الحاصدون الثلاثة من قطع حصدتهم الأولى ، وانهمكت زوجاتهم راكعات على ركبهن فى عملية الحزم .

واستمر بودكن فى الحركة العنيفة التى بدأ بها ، فلم يمض إلا قليل من الوقت حتى كان قد تقدم منافسيه بمسافة غير قصيرة ؛ وكانت ضرباته فى قطع سيقان الشعير غير منتظمة فكان يترك وراءه بقايا هي أثر لعدم انتظام الضربات ، ولكن السرعة التى كان يعمل بها والقوة التى بدت فى حركاته أدهشتا المراقبين أكبر الدهش ، فكانت يداه تعملان بالمنجل عمل الجبابرة ، وكان جسمه الكبير يتحرك فى قوة ، فكان فى حركته أشبه بفيل يدب وسط إحدى الغابات . ولكن المشاهدين كانوا يرون فى حركات أطرافه التى لا تهدأ توازناً لا يخلو من الجمال ؛ وكانت امرأته من ورائه تحزم فى استمرار ما يحصد فى سرعة تدعو كذلك إلى الاعجاب ، وقد تجمعت عضلات وجهها فى تقطب جدى أشبه بالرجل المنهمك فى حل مسألة كبيرة الخطر

ويأتى بعد « بودكن » كونسيدين وامرأته ، وقد أبدى هذا الرجل الضئيل الجسم ، بعد أن انهمك فى العمل ، قوة مدهشة وخفة فى الحركة تشبه خفة الجديان . وعند ما كان ساعداه النحيفان الطويلان يعملان فى قطع الشعير كانت العضلات تبرز فوق ظهره كسلسلة من اللوالب المضغوطة . وكان كلما اعتمد على ركبته اليمنى ليتقدم إلى الأمام فى خط الحصاد ينفرج فمه عن صوت أشبه بالأنين المقطوع ؛ وكانت امرأته التى غمر العرق جبينها تتحرك في أعقابه تحزم ما يقطع وتشجعه على العمل ضاحكة مازحة بصوتها المرتفع كعادته الخارج من أعماق قلبها

وكان آخر الثلاثة ميخائيل جيل وامرأته . وقد بدأ ميخائيل عملية الحصاد فى حركة متأنية متزنة كآلة ميكانيكية تبدأ حركتها بقوة دفع خفيف . وقد مضى فى عمله فى خطوات متساوية لا يغيرها أبداً ولا يرفع رأسه مطلقاً ليرى إلى أين وصل منافساه؛ وكانت يداه الطويلتان تتحركان فى سكون فلا يسمع لحركاتهما صوت غير صوت احتكاك أسنان المنجل لسيقان الشعير . ولم ينظر وراءه قط ليرى إذا كان قد حصد ما يكفى لجمعة واحدة ، حتى يبدأ فى الجمعة الثانية ، فقد كان مقدراً جميع حركاته من قبل تقديراً صحيحاً ، فهى حركات ثابتة متماثلة دقيقة غاية فى الدقة وحتى تنفسه كان شبيها بحركاته هادئا لا يخرج إلا من أنفه كتنفس النائم السليم من الأمراض . وكانت امرأته تسير وراءه فى مثل هدوئه تحزم الحصدات فى تأن وكثير من العناية لا يبدو عليها أي أثر للانفعال أو الاجهاد

وإذ تقدم النهار أقبل الناس من كل ناحية

ليرقبوا حركات الحاصدين . وارتفعت الشمس فى كبد السماء ، واشتدت الحرارة ، وانقطع الهواء ، وجمدت سيقان الشعير فلم تعد تتحرك كما كانت تتحرك فى أول النهار بعمل نسيم الصباح ، بل وقفت منتصبة ثابتة أشبه برماح من الذهب تحمل أسنة من الفضة البيضاء . وكان قسم كبير من الشعير قد حصد تاركا مكانه فراغا يزداد اتساعاً ما بين لحظة وأخرى ، وقد انتثرت فيه نقط خضراء هى نبات بعض البذور التى اختلطت ببذور الشعير عند زرعه ؛ وكان المشاهدون يتحدث بعضهم إلى بعض فى أصوات مرتفعة ، ولكن ارتفاعها لم يكن ليغطى على صوت المناجل الحاصدة

وقبل أن ينتصف النهار بقليل كان بودكن قد انتهى من حصد نصف شقته ، وكان صاحب الحقل قد وضع قطعة من الحجر على الخط الفاصل بين النصفين ، فما وصل بودكن إلى هذا الحجر حتى رفعه بيده عالياً وصاح :

« هذا هو الدليل على أنه لم يولد بعد فى جزيرة انفيرارا رجل فى مهارة جوني بودكن »

فأجاب المشاهدون الواقفون وراء السور على هذا التفاخر بصيحات التهليل . ولكن كايت كونسيدن حملت حزمة من الشعير فهزتها فى الهواء وقالت بصوتها الخشن وفى لهجتها الفكاهية المعهودة :

« إننا لا نزال فى طليعة النهار يا بودكن الناعم اللحم . »

فارتفعت فى الجو ضحكات السامعين لهذه الفكاهة . ولكن بودكن لم يجب ، فلم يكن حاد الذكاء حاضر البديهة ليقابل هذه الدعابة بمثلها . أما جيل وامرأته فلم يلتفتا إلى ما حدث ، ولم يرفعا أعينهما عن عملهما

وكانت امرأة بودكن أول من أعد طعام الغداء فأحضرت وعاء مملوءاً بالشاى البارد وفطيرة كبيرة من الدقيق الأبيض فقطعتها قطعاً كبيرة وغطت كل قطعة منها بطبقة كثيفة من الزبد ، وقد أعدت إلى جانب ذلك أربع بيضات مسلوقة . ولم يكن لبودكن وامرأته أطفال ، لهذا كان فى مقدورهما أن يعيشا فى شيء من السعة ، أو على الأقل كانا أرفه حالاً من أمثالهما من الفلاحين . فما وقع نظر بودكن على الطعام حتى ألقى بمنجله وأقبل يأكل فى شره فازدرد فى لحظة ثلاث بيضات بينما امرأته التى لم تكن لتقل عنه جوعاً أكلت الرابعة ؛ ثم أقبل بودكن على الفطيرة المحملة بالزبد والشاى البارد يلتهم الجميع بمثل السرعة التى كان يحصد بها النبات . ولم يحتج الزوجان لأكثر من دقيقتين وثلاثة أرباع الدقيقة لالتهام كل هذه الكمية الكبيرة من الطعام والشراب . وكان الدكتور جلاغر الواقف على الشاطىء بين المراقبين يحسب الوقت مدفوعاً إلى ذلك بحب الاستطلاع ، وما انتهى الزوجان من الأكل حتى عادا يحصدان بمثل العنف الذى كانا يعملان به من قبل

وكان كونسيدين قد تساوى ببودكن فى اللحظة التى استأنف فيها هذا عملية الحصد ، وبدل أن يجلس كونسيدين وامرأته للطعام تناولاه على عادة مألوفة بين فلاحى انفيرارا فى مثل هذه المواقع ، فكانت كايت تطعم زوجها فى أثناء عمله بقطع من فطير الشوفان المدهون بالزبد ، وكانت من فترة لأخرى تناوله وعاء الشاى فيشرب منه قليلا ، وبهذه الوسيلة كان عند انتهائه من الأكل لا يزال فى مستوى بودكن ، وقد أعجب المشاهدون بما رأوه من حماسته وتنبأوا له بالفوز

ولم يهتم أحد من المشاهدين بجيل وامرأته فلم

يكن فى حركاتهما ما يسترعى النظر أو يثير اللهفة ؛ على أن هذين الزوجين لم يقطعا عملهما ليأكلا ، وكانا يقتربان في انتظام من منافسيهما ؛ وعلى الرغم من أنهما كانا لايزالان متأخرين قليلا عن مستوي هؤلاء ، كان يبدو عليهما النشاط الهادىء ، فكانا فى هذه الساعة من النهار مثلهما عند ابتداء السباق لايبدو عليهما أى أثر للتعب أو الاجهاد ، بينما مظاهر التعب قد أخذت تبدو على بودكن الذى أثقله الطعام الدسم ، وفى حين بدأ على كونسيدين أنه قد أخذ ينفق من قواه الاحتياطية . وإذ وصل جيل إلى الحجر المميز لحظ النصف من شقته وضع منجله فى هدوء وطلب من امرأته أن تحضر الطعام فأحضرته من جانب السور وكان مكوناً من خبز الشوفان المدهون بالزبد الخفيف ، وزجاجة مملوءة باللبن الطازج وشيء من دقيق الشوفان فى قاع الزجاجة ، وأكل الزوجان طعامهما على مهل ثم استراحا فترة من الوقت . فلما رأى المشاهدون ذلك بدأوا يتهكمون عليهما ، ولكنهما لم يعبآ بهذا التهكم ولم يلقيا إليه بالا . حتى إذا مرت عشرون دقيقة عادا يستأنفان عملهما ، فارتفعت فى الجو عبارات السخرية وصاح شيخ عجوز :

« إنك لتلوث اسمي يا ميخائيل »

فصاح ميخائيل جيل :

« لا عليك يا أبى فان السباق لم ينته بعد »

ثم تفل على يده وأمسك بمنجله من جديد

ثم بدت على المشاهدين آثار الدهشة البالغة فقد رأوا جيل وامرأته يستأنفان عملهما بنشاط جم وسرعة هائلة ؛ وكانت حركاتهما منتظمة آلية كما كانت من قبل ولكنهما الآن كانا يعملان بضعف السرعة التى عملا بها فى أول النهار ، فانقلبت صيحات الاستهزاء إلى عتاف الإعجاب ، وأخذ السادة من المشاهدين يتراهنون على من سيكون الفائز . ولم تكن اللهفة إلى هذه اللحظة قد بلغت حدها ، فقد كان الجميع واثقين من فوز بودكن الذى كان يتقدم منافسيه بمسافة طويلة . ولكن هذا التفوق لم يلبث أن تهدده الخطر ، فعلى الرغم من تقدمه على جيل إلى مدى بعيد كان التعب قد أخذ منه وقد بدت عليه آثاره واضحة ، وكان من أظهرها خطأ ضربات منجله ما بين فترة وأخرى ، إذ كان سنه يضرب الأرض فيخرقها ، وكان جسمه كله يتصبب عرقاً ، وشرع ينظر وراءه إلى جيل متضايقاً من صيحات المشاهدين وتهليلهم

وقبل الساعة الرابعة بقليل سقط كونسيدين فجأة مجهودا فحملوه إلى ما وراء السور ، وأحاط به فريق من المشاهدين . وسقاه مستر روبرتسون القسيس قليلا من النبيذ أعاد إليه شعوره فحاول أن يعود إلى العمل ولكنه لم يستطع النهوض . فقالت إمرأته غاضبة :

« ابق حيث أنت فقد قضى عليك . وسأستأنف أنا العمل »

وشمرت المرأة ساعديها ثم حملت المنجل واندفعت إلى الحقل صائحة وشرعت تحصد فى قوة وعنف . وصاح ما كدارا :

« مرحى ! مرحى ! »

ثم وجه كلامه للدكتور جالاغر ، وقد لمس كتفه :

« سأعطى المرأة جائزة خاصة يا جالاغر ، فهي بعد من النسل الإيرلندى .. وإنك لتفهم ما أعني .. إنها من النسل النشيط ! »

ولكن اهتمام المشاهدين انصرف كله إلى المعركة بين بودكن وجيل . فقد ثار بودكن ثورة هائلة فبذل مجهوداً رائعاً ، واستطاع أن يتقدم تقدماً جديداً

وكان جسمه الثقيل يتحرك يمنة ويسرة وإلى الوراء في خط الحصاد ، فكأنما كان ينتزع عيدان الشعير بفعل ساحر . وكان كلما انتهى من حصدة تناولتها امرأته فجمعتها . ولكن عند ما وقف بودكن في الساعة الخامسة ونظر إلى الوراء رأى جيل لا يزال يتقدم في اطراد منتظم مخيف . وأحس بودكن فجأة أن متاعب اليوم كله قد استولت عليه في هذه اللحظة

أحس بادئ الأمر بعطش شديد ، فأرسل امرأته لتحضر له من جوار السور وعاء الشاى الاحتياطى ، فلما عادت به شرب في شره شديد . وكان كلما شرب ازداد شعوراً بالعطش . فصاح به أصدقاؤه من المشاهدين محذرين ، ولكنه جن بالعطش ، فلم يعد يعى شيئا ، فاستمر يشرب ، وكان قد أصبح على بضع خطوات من خط الفوز . فنظر إليه ذاهلاً وهو يلوح بمنجله في الهواء ، ثم عاد يشرب حتى بلدت حواسه ، وأثقل النعاس رأسه ، وأصبحت حركاته حركات لا شعورية ، فكان يرى أمامه الجدار الذى ينتهى عنده السباق ويجاهد في الوصول إليه ، وشرع يحدث نفسه ، ووصل بالفعل إلى الجدار في إحدى نهايتى خط الحصاد ، ولم يكن عليه إلا أن يحصد الشعير على طول الجدار وينتهى الأمر . وما هى إلا ثلاث حصدات ثم ... ثم يصبح أمهر حاصد في أنفيرارا ... ويحصل على الورقة ذات الخمسة جنيهات ...

وما وصل في حديثه لنفسه إلى هذا الحد حتى اخترقت صياح أذنيه صيحة التهليل والاعجاب تدوى في الجو :

« لقد فاز جيل »

فسقط بودكن على الأرض بين أنين الموجع المقهور

عبد الحميد حمدى

إحياء أثر أدبي نفيس

وفق الأساتذة خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندى في الحصول على مخطوط قيم نادر بمكتبة الفاتح بالاستانة فاشتغلوا بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه وعمل فهارس مستوفاة له ثم طبعوه على نفقة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) طبعة علمية متقنة في شكل أنيق مع مقدمة تحليلية ممتعة للأستاذ الجليل أحمد أمين . والكتاب في الدفاع عن شاعر من فحول الشعراء كثرت فيه الآراء واختلف النقاد في مذهبه وتقدير شعره . ومؤلفه أديب ممتاز ثقة فيما يرويه ذلك الكتاب هو : أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى وهو مطبوع على ورق جيد ويقع في ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه ١٨ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

(١) خالتى وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرانات طاغور

ترجمة عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمة عبد اللطيف النشار

ثمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه : ١٨ شارع الإبعادية بمحرم بك بالإسكندرية